للتحرش وجوه كثيرة

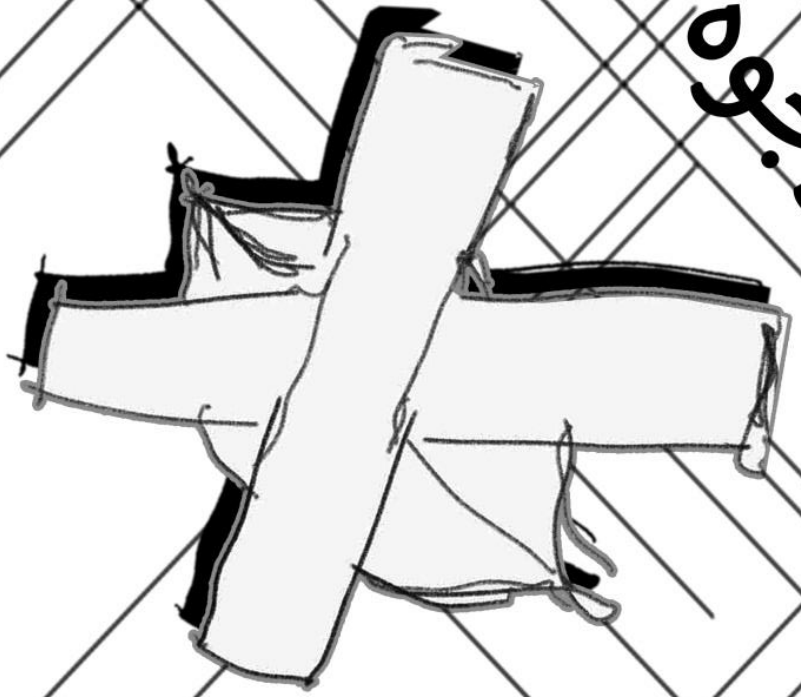

للتحرش وجوه كثيرة

تعرضت للتحرش كثيرًا منذ نعومة أظافري، من قبل أن أعي أو يعي جسدي أنه اعتداء على ملكيتي الخاصة غير المسموح بالاقتراب منها بدون إرادتي، من قبل أن أتعلم كيف أصيغ الجمل التي تعبر عما أشعر به بدون أن أعرف الكلمات المناسبة لوصف ما حدث للتو، أدرك أنه خطأ وأنه يزعجني ويدفعني كثيرًا للبكاء والإحساس بأنني مدانة بدون أن أعي أن المجني عليه هو أنا أنزعج لعدم قدرتي على وصف ما يضايقني لأمي أو أبي لعدم فهمي لما حدث في الأساس.

بعد أن كبرت قليلا وأدركت المفردات الجنسية التي طالما حجبها عنها آباؤنا ظنًا منهم إنه الأدب. أدركت أن ما تعرضت له كان جريمة بشعة تكررت في كل الأماكن بدون رحمة، بل وحدثت كثيرًا وأنا ممسكة بيد أبي وهو ملتفت ليدفع المال باليد الأخرى في شباك التذاكر لأشعر أنا بيد ثالثة بين أفخادي تسترق اللمس سريعًا وتهرب بين الزحام .أو بعضو ذكري منتصب يحتك في مؤخرتي قبل وصولي لسن البلوغ أو يد تتحسس أثدائي قبل حتى أن تبرز.

فقررت أن زمن الانطوائية والخجل انتهى، أنا الآن مدركة ما يحدث ومدركة أني هنا الضحية ولست الجاني، وخصوصًا بعد انتشار مصطلح التحرش والوعي الذي انتاب المصريين بعد عدة إحصائيات مفجعة صادرة من الأمم المتحدة، بأن القاهرة مثلا من أخطر المدن للنساء، وأن 99 ٪ في مصر تعرضوا للتحرش اللفظي والجسدي.

أنا الآن أتحرك في الشوارع بكل جراءة وتحدٍ، وإن صادفت أحد هؤلاء المرضى لا أسكت، أقوم بالصراخ وفضحه، بل أحيانًا ما أن ينظر المتحرش إلى عيني حتى يدرك تمامًا أنه مقبل على وحش كاسر سوف لن يرحمه، إن لامسه، أتجنب الزحام أو التجمعات الشبابية أو المشي في الأماكن النائية حفاظًا على نفسي، أفضل عربات النساء في الترام والمترو عن العربات المختلطة، ثرثرة النساء وفضولهن وأحاديثهم التي لا تنقطع أهون علي من لمسات الرجال ونظراتهم الحيوانية.

*****

رشحتني زميلتي في العمل لأحد أقربائها لما رأته مني من لطف وخفة ظل لأكون شريكة لحياته.

وفاتحتني في الموضوع بلطف وسألتني إن كنت مرتبطة وبعد أن أجبت بالنفي، صرحت بأنها ترانا مناسبين ومتوافقين، وسألتني كيف أحب أن تتم المقابلة الأولى؟ فقلت لا مانع إن جاء هنا وقت الاستراحة في المكتب ليمر ويلقي التحية عليها في المقام الأول لأنها صديقته وقريبته، بعدها أتجاذب معه أطراف الحديث مدة الاستراحة .وإن لاقينا من الود حبلين فلا مانع من وصلهما بوجود أحبائنا وأقاربنا.

واتفقت معها على يوم المقابلة، وجئت يومها إلى العمل في حلة باهية ومظهر مهندم تظهر جزءً من أنوثتي وبعضًا من جمالي الداخلي.

جاءت زميلتي وقالت لي إنه يعتذر عن المعاد اليوم لانشغاله الطارئ، لكن لا تقلقي فوالدته ستحل محله اليوم فقط ووعدتني أن المقابلة الثانية ستكون معه إن نجحت اليوم.

انزعجت وانتابني شعور بأني بضاعة معروضة للبيع والشاري يحتاج لمتخصص لفحص البضاعة جيدًا، متخصص يدرك الأصل من التزوير، محنكة تستطيع بمجرد النظر معرفة هل هذه أثدائي أم إنها مجرد حمالة صدر محشوة؟ هل هذه مؤخرتي أم أني أتموضع لإظهارها؟ هل هذه حقًا بشرتي

وهل هذا لونها أم إنها كريمات أساس؟ وهل هذا شعري أم تتخلله بعض الخصلات العيرة؟ جاءت أولًا لتتفقد هل الفتاة ستتمكن من إمتاع ابنها البائس في السرير أم لا؟ فهي غالبًا تظن أنه بريء وشديد التهذيب، إنه غير مدرك لاحتياجاته الجنسية.

وقد تتحدث معي وإن وجدت مني جراءة وثقة بالنفس بالتأكيد سترفضني. هذه الأم لا تختلف كثيرًا عن المتحرشين، قد تنتمي لنفس جنسي، ولكن تملك نفس العقل الحيواني الذي يملكه المتحرش.

فاعتذرت لزميلتي وقلت لها (لأ الغي المعاد خالص وقولي لطنط ماري منيب أنا مش لبنى عبد العزيز).